٧ ـ حكاية الوفد الكسروى

لأستاذ جليل

٦ — يقول علقمة بن علاثة :

« ... إنّا وإن كانت المحبة أحضرتنا والوفادة قربتنا فليس من حضرك منا بأفضل ممن غزب عنك »

هذا تركيب مولد ، ومثله قول الإمام مسلم بن الحجاج فى مقدمة كتابه (الجامع الصحيح)[1]

« فإذا نحن تقصينا أخبار هذا الصنف من الناس أتبعناها أخباراً يقع فى أسانيدها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان كالصنف المقدم قبلهم ، على أنهم وإن كانوا فيما وصفنا دونهم ، فإن اسم الستر وتعاطى العلم يشملهم كعطاء بن السائب

(١) (٤٠٠٠) حديث خرجه من (٣٠٠٠٠) ألف حديث وجامع البخارى (٢٧٦١) حديثاً خرجه من (٦٠٠٠٠) حديث والحديث الصحيح فى الحديث الكذب كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود كما قال الدارقطنى

وزيد بن أبى زياد وليث بن أبى سُليم وأضرابهم من جُهّال الآثار ونُقّال الأخبار ، فهم وإن كانوا بما وصفنا من العلم والستر عند أهل العلم معروفين فغيرهم من أقرانهم ممن عندهم من الإتقان والإستقامة فى الرواية يفضلونهم فى الحال والرتبة . »

قال صاحب الكليات :

« الفاء فى خبر المبتدأ المقرون بأن الوصلية شائع فى عبارات المصنفين مثل زيد وإن كان غنياً فهو بخيل »

وأورد أقوال نحاة أتعبوا أنفسهم فى إعراب هذا التركيب . واعلم أن ما أصله مبتدأ حاله كحال المبتدأ

* * *

يقول عامر بن الطفيل :

« ما هيبتى فى قفاى بدون هيبتى فى وجهى »

دخول الباء على دون لم يجىء فى كلام جاهلى أو إسلامى ، وقول الأخفش فى كتابه فى القوافى وقد ذكر أعرابياً أنشده شعراً مكفئاً : فرددنا عليه وعلى نفر من أصحابه ، فيهم من ليس بدونه »[1] — مولد . ومثله قول ابن الفرضى :

(١) رواه اللسان ونقله التاج

الحروب الصليبية ، فماذا وقع فى تلك الحروب وقد طالت حتى جاوز مداها عشرات السنين ؟

قهرنا خصومنا ودحرناهم ، لأن أسلحة الحرب كانت واحدة ، ولم يكن لخصم أن يتفوق على خصم بغير قوة العقيدة ورسوخ اليقين

وكان نصارى الغرب يهمهم أن يستولوا على مصدر النصرانية فى الشرق ، ومعنى هذا أنهم جاءوا مسلحين بعزائمنا الروحية ، ولولا العقيدة التى نقلوها عن الشرق لعجزوا عن ملاقاتنا فى أى ميدان .

سيوف الله

كان من المؤكد أن ينهزم الشرق الإسلامى فى هذه الحرب ، لأن أدوات القتال قد تغيرت وتبدلت ، ولم يستعد الشرق لمنازلة الغرب ، لأنه غير مزوّد بالأسلحة التى ابتدعها شياطين الغرب الجديد

لطف الله بالشرق الإسلامى ولطف . . . ألم تسمعوا أن الحرب فى روسيا لم تمس الأقاليم المأهولة بالقبائل الإسلامية ؟

عتاب !

هو عتابى على الدكتور طه ، فهل يميل إلىّ بفكره لحظة واحدة ليغيّر رأيه فيما بين الشرق والغرب ؟ وماذا يقع إن لم يسمع ؟ الشرق لن يتخلى عن السيطرة الروحية ، وإن عجز عن السيطرة الحربية ، ولن يُوهن من قوة الشرق أن يقرأ أبناؤه كلاما منقولاً عن أحد الأجانب ، ولو كان الناقل طه حسين

أما بعد فأنا أوصى طلبة السنة التوجيهية أن يثيروا هذه المشكلة أمام لجنة الامتحان ، ليفوزوا بدرجات التفوق ، على شرط أن يفهموا المرامى الدقيقة لهذه الرموز والتلاميح

لجنة الامتحان فى مسابقة الأدب العربى ستؤلف من رجال يسرهم أن يجدوا فتياناً يجادلون ويناظرون ، فالقوهم بما أدعوكم إليه ، ليفرحوا بكم ، وليطمئنوا إلى أنكم فاهمون لا ناقلون ... أنا ضامن لكم النجاح إن لاقيتم الممتحنين وأنتم مزوّدون بالفكر والبيان ... إنهبُوا جوائز وزارة المعارف ، لتفرح بكم فرح الآباء بنجباء الأبناء

زكى مبارك

إن الذى أصبحت طوع يمينه إن لم يكن قرماً فليس بدونه

وقد ورد مثل ذلك فى كلام معزو إلى صحابى وهو دليل على صوغ القول وتوليده

يقول قيس بن مسعود الشيبانى :

« لم نقدم أيها الملك لسماحة ، ولم ننتسب لمعاداة »

تعدية الانتساب بغير حرفه مولدة ، وفى (القامة . .) فى قولها : « فلا يدخل رجل فى غير قومه ، ولا ينتسب إلى غير نسبه » التعدية العربية القديمة

* * *

يقول عامر بن الطفيل :

« . . . ولبس القول أعمى من حندس الليل »

بناء (أفعل) من عمى غير جائز ؛ قال الرضى : « لكون بعضها مما لا يقبل الزيادة والنقصان كالعمى »

والشاذ فى هذا الباب معروف . وقول عامر يكاد يكون عصرياً . . .

وأما القول العربى الكريم : « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً »

فالثانية فيه مثل الأولى[1] ، وليست بمعنى « التى تقتضى من » كما قال الكبرى[2] . وقال الزمخشرى : « قد جوزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل » وأنا لا أرى ذلك ، والطبرى يقول : « . . . عمى البصر لا يتفاوت فيكون أحدهما أزيد عمى من آخر إلا بإدخال أشد أو أبين . فليس الأمر فى ذلك كذلك ، وإنما قلنا ذلك من عمى القلب الذى يقع فيه التفاوت ، فإنما عنى به عمى قلوب الكفار عن حجج الله التى قد عاينتها أبصارهم فلذلك جاز ذلك وحسن »

ممن اطمأن فى هذا العصر إلى كلام النعمان عند كسرى وأخذه قولاً عربياً جاهلياً خالصاً ـ العلامة اللغوى الكبير الشيخ إبرهيم اليازجى[1] ، قال فى مقدمة كتابه (نجعة الرائد) :

« . . . إن من اطلع على المأثور من كلام العرب . . . أيقن أن هذه اللغة قد انفردت عن سائر اللغات فصاحة وبياناً ، كما انفرد أربابها فى مذاهب البلاغة تبسطاً واقتناناً . وحسب الناظر أن يسرح طرفه فى بليغ منقولها ، ويتأمل ما جاء من البدائع فى محكم فصولها ، من مثل مقالة النعمان فى النصح عن أحساب العرب ، وما ورد عن الإمام على من نوابغ الأمثال وروائع الخطب ، وما جاء بعد ذلك من أقوال مصاقع الخطباء فى صدر الإسلام . . . »

وقال فى المقدمة فى مقالة النعمان :

« كان من حديث ذلك أن النعمان بن المنذر وفد على كسرى وعنده وفود الملوك من الهند والصين والروم وغيرها وتذاكروا أقوامهم وملوكهم ، فتكلم الملك النعمان ، وافتخر بالعرب ، وفضلهم على سائر الأمم ، ولم يستثن الفرس ، فدخل كسرى منه شىء ، وتكلم فطعن فى العرب ، فأجابه النعمان جواباً طويلاً . . . »

ثم نشر مقالة النعمان فى مجلته (الضياء) فى السنة (٧) فى الصفحة (٤٦٠) إجابة لأدباء من قراء مجلته سألوه عنها

وإن كلاماً عربياً جاهلياً منثوراً ليحرص كل أديب أن يقف عليه ليعرف كيف كان الجاهليون ـ يا أخا العرب ـ ينثرون كما يحرص أن يقف على أقوال الصحابة (رضى الله عنهم أجمعين) وعلى أقوال التابعين (رحمهم الله)

* * *

أجتزئ من أدلة الوضع بما أوردت ، وأختم مكتوبى هذا بالثناء على « الرسالة » الغراء وعلى الشاعر الناثر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن الذى دعا أدبه وفضله فيها إلى تأليف هذه السطور .

(له)

(١) فى الكشاف : الأعمى مستعار ممن لا يدرك للبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى إلى طريق النجاة ، أما فى الدنيا فلفقد النظر وأما فى الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه

(٢) قال : أعمى الأولى بمعنى فاعل وفى الثانية وجهان أحدهما كذلك والثانى على أفعل التى تقتضى من

(١) ومن صدق حكاية الوفد الكسروى ونشر أقوالهم فى مصنفه الامام العلامة الكبير الشيخ محمود شكرى الألوسى (بلوغ الأرب ج ١ ص ١٥٥) والعلامة الفهيم الشيخ حمزة فتح الله (كتاب أدبيات اللغة العربية ج ١ ص ١٠٣)